القراءات القرآنية الشاذة في البحر المحيط
دراسة صوتية

د. نافع الجبوري / د. سحر أحمد محمد

المقدمة

الحمد لله رب العالمين حمدا يوازي نعمه، والصلاة والسلام على خاتم النبيين والمرسلين صلاة دائمة بدوام السموات والأرض، وبعد فأن هذا البحث الموسوم بـ (القراءات القرآنية في البحر المحيط دراسة صوتية) يعد استكمالا لعمل أكاديمي سبقه إلى الوجود وهو رسالة ماجستير موسومة بـ (القراءات القرآنية الشاذة في البحر المحيط دراسة نحوية صرفية)، لما لهذا التفسير من قدر عال بين تفاسير القرآن الكريم، ولمؤلفه من علو شأن بين المفسرين، والنحويين، وعلماء العربية ألا وهو أبو حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، آملين أن يكون عملنا خالصا لوجه الله تعالى أولا، وخادما لكتابه العزيز ثانيا، ومنيرا ولو لمنعطف أمام الدارسين ثالثا.

هذا وقسمنا بحثنا بعد أن أحصينا القراءات التي نص على شذوذها من الناحية الصوتية أبو حيان وهي قليلة نسبة إلى ما ذكر من القراءات في ثنايا تفسيره إذ لم تتعد الـ (١٣١) قراءة، اخترنا منها ما يتناسب والمحاور الأربعة التي دار عليها البحث، وقد كان الأول منها عن ظاهرة الأبدال الصوتي سواء كان بين الحركات أم بين الحروف أم بين أحرف الجر أم بين أحرف العطف كما هو مبين في مطلب الابدال.

والثاني كان عن ظاهرة الإتباع الحركي، والثالث كان عن ظاهرتي المد والقصر، والرابع كان عن ظاهرة الإدغام، وجميعها ظواهر لغوية صوتية لها حضورها في لغة القرآن الكريم وفي قراءاته التي وصلت إلينا والتي وسمها المفسرون وبعض أهل العلم بالشذوذ ودافع عنها بعضهم الآخر كابن جني (ت٣٩٢هـ)، وأبي حيان.

وجاء في ختام البحث خاتمة ذكرنا فيها أهم النتائج التي توصل إليها البحث نحسبها على قدر من الأهمية، ثم ذيلنا بحثنا بجدول إحصائي لما ورد في تفسير البحر المحيط من قراءات شاذة لم تنتظم أو لم تدخل ضمن الدراسة استكمالا للعمل الذي نرجو من الله أن يتقبله ويجعله في ميزان حسناتنا آمين.

تمهيد

الشذوذ لغة مصدر من شذ يشذ، ويشذ، فهو شاذ، أي أنفرد عن الجمهور وندر.(١)

وأشذ :جاء بقول شاذ، والشيء : نحاه وأقصاه.(٢) وشذاذ الناس :الذين يكونون في القوم وليسوا من قبائلهم.(٣)

وفي الأصطلاح : لم نجد تعريفا محددا للقراءة الشاذة، بل وجدنا أن العلماء قد وضعوا شروطا هي :

- موافقة العربية ولو بوجه.
- موافقة مصحف الأمام ولو أحتمالا.
- صحة السند.

ثم عادوا وقسموا القراءات على أنواع بحسب ما تفقد من الشروط المذكورة سابقا، فالتي تفقد الشرط الثالث مع بقاء الآخرين هي قراءة مردودة باطلة، والتي تفقد الشرط الأول مع بقاء الآخرين هي قراءة ضعيفة، والتي تفقد الشرط الثاني وهو موافقة المصحف الأمام مع بقاء الآخرين فهي القراءة الشاذة (٤).وبذلك يتفق المعنيان اللغوي والاصطلاحي للشذوذ وهو الانفراد عن الجماعة والابتعاد عنها.

أولا: الإبدال

لغة :خلف الشيء، والتبدل :التغيير، واستبدلت ثوبا مكان ثوب، وأخا مكان أخ، ونحو ذلك المبادلة.(٥)

واصطلاحا :(هو إبدال الحروف [والمصوتات] وإقامة بعضها مقام بعض، ويقولون مدحه ومدهه)(٦)، (كإبدالك من الواو تاء في تالله)(٧).

والإبدال ظاهرة لغوية لم ينكرها أحد من المتقدمين ولا من المحدثين، لكن اختلفت المناهج في دراستها، وتقصي أسبابها، وتحديد شروطها، فالمتقدمون رأوا أنها صورة من صور الاختلاف اللهجي فلا تنطق القبيلة الواحدة بالصورتين لأن اللغة –كما هو معلوم – فطرة واستحالة تحول العربي الفصيح عن فطرته مهما حاول(٨).

ورأى المحدثون أن اختلاف صورتي اللفظ مع اتفاقهما في الدلالة، وفي الاشتقاق، ولا يتجاوز اختلافهما الصوت الواحد أو المصوت الواحد من بين مجموع بنائيهما شرط وجود علاقة صوتية تجمع بين المبدل والمبدل منه.(٩) وهو ضرب من ضروب المماثلة عند بعضهم.(١٠)

وسيكون حديثنا في الصفحات الآتية إن شاء الله عن الإبدال الواقع بين المصوتات أي الإبدال الحركي، والإبدال الواقع بين الأصوات أي الإبدال الحرفي، بحسب ما اشتملت عليه القراءات القرآنية الشاذة التي ذكرها أبو حيان في تفسيره المسمى بـ(البحر المحيط)موضع الدراسة إن شاء الله.

١– الإبدال الواقع بين المصوتات

تختلف اللغة العربية عن غيرها من اللغات الحية من حيث أن لها مصوتات ذات دور فاعل في إحداث تغيير في دلالة ألفاظها، ولا نقصد تلك المتغيرة بتغير العوامل النحوية بل نقصد المصوتات الداخلة في بنية الألفاظ.

ولما كان هذا من خصائص العربية فلا غرو من أن نجد في القراءات القرآنية ما يؤيده، وقد سجل أبو حيان في تفسيره صورا لها، لكن لابد من القول أولا أن الأمر ليس على هذا الإطلاق فقد يتغير المصوت من غير أن يؤدي تغيره إلى تغير في الدلالة، كأن يكون لهجة قوم، أو لعلة صوتية كالتخفيف، أو يؤدي تغيره إلى التفرقة بين الواحد والجمع، وقد وجدنا لهذه الاحتمالات ما يؤيدها من القراءات القرآنية في البحر المحيط لكننا سنختار أمثلة من القراءات الشاذة فقط على الرغم من أن أبا حيان لم يفاضل بين

قراءة وأخرى، ولم يطعن في قراءة، ولم يرد قراءة مهما كانت صفتها، وهو بهذا يختلف عن غيره من علماء العربية والمفسرين فقد ذهب معظمهم إلى تخطئة القراء، ورد بعض القراءات بعد المفاضلة بينها.(١١)

وقد قريء شاذا (إنا معكم) بسكون العين، في قوله تعالى :{ قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزءون}[البقرة/١٤]، وذهب أبو حيان إلى أن قراءة تسكين العين لغة غنم وربيعة وهي مع هذا شاذة في رأيه الذي يفاد من قوله:(والجمهور على تحريك العين من معكم، وقريء في الشاذ :إنا معكم، وهي لغة غنم وربيعة)(١٢)

وقرأ أبو السمال العدوي (من الربو)بكسر الراء المشددة وضم الباء وسكون الواو، في قوله تعالى :{يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربوا إن كنتم مؤمنين} [البقرة/٢٧٨].ذهب ابن جني (ت٣٩٢هـ) إلى تشذيذ هذه القراءة من جهتين الأولى الخروج من الكسر إلى الضم بناء لازما، والأخرى: وقوع الواو بعد الضمة في آخر الاسم، ذاكرا أن هذا الشيء لا يأتي إلا في الأفعال نحو يغزو، ويدعو، (١٣) ووجه قراءة أبي السمال إلى أنه فخم الألف وانتحى بها الواو التي الألف بدل منها كالصلاة والزكاة، ورأى أبو حيان أن الضمة في مثل هذا الحال إنما هي للإتباع وليست ضمة تكون في أصل بنية الكلمة كضمة يغزو.(١٤)

وذهب العكبري (ت) إلى أن هذه ا لقراءة (وهي قراءة بعيدة إذ لبس في الكلام اسم في آخره واو قبلها ضمة لاسيما وقبل الضمة كسرة، وقد يؤول على أنه وقف على مذهب من قال هذه أفعوا فتقلب الألف في الوقف واوا، فأما أن يكون لم يضبط الراوي حركة الباء، أو يكون سمى قربها من الضمة ضما).(١٥)

وقريء في الشاذ أيضا (وامرأتان) بسكون الهمزة في قوله تعالى: {فأن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء } [البقرة/٢٨٢]، وشذذ أبو حيان قراءة التسكين ووجهها بقوله :(ويمكن أن سكنها تخفيفا لكثرة توالي الحركات وجاء نظير تخفيف هذه الهمزة في قول الشاعر:

يقولون جهلا ليس للشيخ عيل لعمري لقد أعيلت وأن رقوب

يريد :وأنا رقوب، قيل حذف الهمزة بإبدالها ألفا ثم همزة بعد ذلك قالوا :الخأتم والعألم)(١٦) والى ذلك ذهب العكبري من قبله، لكننا نرى أن التسكين أصعب منه على اللسان من التحريك وليس فيه تخفيف ظاهر.

ثانيا: الإبدال الواقع بين الأصوات (إبدال حرفي)

وقع إبدال في ما بين الأصوات في القراءات القرآنية الشاذة التي وجهها أبو حيان، كما في صوت الهمزة، وهو صوت ثقيل لبعد (مخرجه فصعب اللفظ به لصعوبته، ولذلك لم تستعمل العرب همزتين محققتين من أصل كلمة، ولا توجد همزة مدغمة في همزة إلا في قليل من الكلام)(١٧)، ولأنها (أثقل الحروف وأدخلها في الحلق ولذلك جاء فيها القلب، والحذف، والتخفيف، ما لم يجيء في غيرها)(١٨)

قريء في الشاذ (لا يووده) من غير همزة في قوله تعالى:{ لا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم}[البقرة/٢٥٥]. قال أبو حيان موجها لهذه القراءة :(قرأ الجمهور يؤده بالهمز، وقريء شاذا بالحذف كما حذفت همزة أناس، وقريء أيضا (يؤوده) على البدل من الهمزة، أي لا يشقه ولا يثقل عليه)(١٩)، ومثل ذلك قال العكبري.(٢٠)

ووجهها ابن مجاهد (ت) بأنه (من لم يهمز قال (يؤوده) فخلف الهمزة بواو ساكنة، فجمع بينها وبين الواو، فيجتمع ساكنان فان شاء ضمها فقال (يووده) ومن ترك الهمز أصلا قال (يوده)(٢١).. وخطأه ابن جني بقوله: (خلط ابن مجاهد في هذا التفسير تخليط ظاهر غير لائق بمن يعتد إماما في روايته، وان كان مضعوفا في فقاهته، وذلك أن قوله تعالى يئوده لك فيه التحقيق والتخفيف فمن حقق أخلصهما همزة، قال (يئوده).... ومن خفف جعل الهمزة بين بين، أي بين الهمزة والواو، لأنها مضمومة....فأما ترك الهمزة أصلا فشاذ)(٢٢) وحاصل رأي ابن جني في هذا الحرف أن الهمزة خففت فلم تبدل ولم تحذف.(٢٣)

ومما وقع فيه إبدال حرفي قراءة ابن الزبير، وعكرمة، وقتادة (بالمعصرات) بالباء بدلا من (من)، في قوله تعالى: { وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجا} [النبأ/١٤] فذكر ابن جني أن القراءتين بمعنى واحد، كقولهم :أعطيته من يدي درهما، وبيدي درهما.(٢٤)

وذكر أبو حيان الدلالة تختلف حيث ذكر ما أورده المفسرون في معنى المعصرات واختلافهم في دلالتها، هل تعني السحاب أم الرياح؟ وذكر أيضا أن ابن عطية عندما ذكر هذه القراءة أكد أن هذا يقوي أن أراد سبحانه الرياح.(٢٥)

وذكر الزمخشري أن في ذلك وجهين :الأول :أن يراد بالرياح التي حان لها أن تعصر السحاب. والآخر :أن يراد السحاب لأنه إذا كان الإنزال منها فهو بها(٢٦)

وذكر القرطبي أن المقصود بالمعصرات :الرياح كأنها تعصر السحاب وقيل أنها السحاب، والسحب أيضا تسمى: المعصرات لأنها تمطر، وقال :(وأصح الأقوال أن المعصرات السحاب ولو كان (بالمعصرات) لكان الريح أولى)(٢٧) المعاني لها.

ومن الإبدال الحرفي إبدال حرف العطف كقراءة الأعمش (فبرزت) بالفاء بدلا من الواو، في قوله تعالى:{وبرزت الجحيم للغاوين} [الشعراء/٩١]، وجه أبو حيان قراءة الأعمش فقال :(جعل تبرز الجحيم بعد تقرب الجنة يعقبه وذلك لأن الواو للجمع، فيمكن أن يكون كل واحد منهما ظهوره قبل الآخر، وهو من تقديم الرحمة على العذاب، وهو حسن لولا أن رسم المصحف بالواو).(٢٨) الملاحظ أن أبا حيان دائم الحذر في توجيهه للقراءات، فعلى الرغم من قوة الوجه بالفاء في العربية واستحسانه اياه إلا أنه توقف عند رسم المصحف، ربما لأنه يميل إلى موافقة رسم المصحف والاعتداد به أكثر من موافقة العربية.

ثانيا : الإتباع

من الظواهر الصوتية التي لها حضور في لغة العرب، ظاهرة الإتباع الحركي، ومعناه (أن يؤثر الصوت في الصوت المجاور له، أو يتأثر فيتماثلان في النطق، وأطلقوا عليه التوافق الحركي، أو الصوتي، أو الانسجام الحركي)(٢٩)، ورآه بعض الدارسين أنه (ظاهرة من ظواهر التطور في حركات الكلمات، فالكلمة التي تشتمل على حركات متباينة تميل في تطورها إلى الانسجام بين الحركات حتى لا ينتقل اللسان من ضم إلى كسر إلى فتح في الحركات المتوالية)(٣٠).

وتفسير المحدثين لظاهرة الإتباع لا يختلف كثيرا عن تفسير القدامى لها فسيبويه (ت ١٨٠هـ) ذكرها في معرض حديثه عن ميل لهجة تميم إلى كسر الفاء في صيغتي (فعل وفعيل) إذا كانت عينيهما أحد حروف الحلق، فتميم تقول :لعب، شهد، ضحك، ورغيف، وزئير، وذلك لأنه (أخف عليهم حيث كانت الكسرة تشبه الألف فأرادوا أن يكون العمل من وجه واحد، كما كانت إذا أدغموا فإنما أرادوا أن يرفعوا ألسنتهم من موضع واحد).(٣١)

ولابن جني (ت٣٩٢هـ) وقفة على ظاهرة الإتباع وانسجام الحركات داخل اللفظة في معرض حديثه عن الإدغام الأصغر.(٣٢) والاتباع عنده عبارة عن تقريب الحرف من الحرف وإدناؤه منه من غير إدغام(٣٣). ومن أنواع التقريب هذا تقريب الحركة من الحركة لاسيما في حروف الحلق، ثم وجه في ضوء هذه الظاهرة اللغوية قراءة من قرأ (سلطان) بضم السين واللام، وقراءة (رطبا جنيا) بكسر الراء والجيم منهما فالتماثل عنده يحدث بين الحروف وبين الحركات أيضا، (٣٤) ليحقق المتكلم الانسجام أولا واليسر ثانيا.

وعلى هدي هذه الظاهرة وجه أبو حيان كثيرا من القراءات المؤيدة لها عازيا معظمها إلى قبائل معينة لكننا سنقصر حديثنا على الأحرف الشاذة فقط، كقراءة (الحمد لله) بضم اللام الأولى في (لله)، وقراءة (الحمد لله)بكسر الدال، في قوله تعالى :{الحمد لله رب العالمين } [الفاتحة/١]، فقال (اتبع إبراهيم بن أبي عبلة ميمه لام الجر ضمة الدال، كما اتبع الحسن، وزيد بن علي كسرة الدال لكسرة اللام وهي أغرب لأن فيه إتباع حركة معرب لحركة غير إعراب والأول بالعكس).(٣٥)

وقرأ علي، وعيسى بن عمر (أربعين)بكسر الباء في قوله تعالى:{وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة} [البقرة/٥١]، فوجهها أبو حيان على الإتباع إذ قال :(بكسر باء أربعين شاذ إتباعا)(٣٦).

هذا ويكثر في لغة العرب إتباع الحركة لحركة سابقة لها أو متأخرة عنها لغرض تحقيق الانسجام الصوتي داخل بنية اللفظ وإذا كانت جميع الألفاظ قد تحقق فيها الانسجام

فالجرس والموسيقى والإيقاع متوافرات في اللغة العربية من غير حاجة لإقامة الدليل أو الإتيان بالبراهين على جمالها.

ثالثا: المد والقصر

والمد ظاهرة لغوية تسمى عند بعض اللغويين بـ (التحقيق)، وعن الأهوازي (ت٤٤٦ هـ) قوله: (وأصل التحقيق المد والهمزة والتمكين، وأن يكون ذلك كيلا واحدا)(٣٧). والقصر عكسه.

ويبدو أن تميما وأغلب قبائل نجد تميل إلى القصر، والغالب على أهل الحجاز المد، (٣٨) والعلة في ذلك أن (التميميين لا يضغطون على آخر الكلمة الممدودة)(٣٩) وذلك لأن اللهجة التميمية أو اللهجات النجدية عامة سريعة الأداء، وسرعة الأداء سمة بارزة من سمات اللهجات البدوية عموما.(٤٠)

وهناك أمثلة جسدت هذه الظاهرة في تفسير البحر المحيط إلا أننا سنقصر الحديث على ما نص عليه أبو حيان بأنه شاذ، من ذلك قراءة الشعبي (ما) بالقصر، في قوله تعالى:{إذ يغشاكم النعاس آمنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به } [الأنفال /١١] وهي قراءة شاذة(٤١)، وذهب العكبري(٤٢)، وأبو الفضل الرازي إلى أن (ما) اسم موصول بمعنى (الذي) وصلته حرف الجر، والعائد عليه (هو)(٤٣)، وذهب ابن جني إلى أن((ما) موصولة وصلتها حرف الجر بما جره فكأنه قال (ما للطهور))(٤٤). ووصف أبو حيان قولهم بأن (ما) موصولة بأنه قول فاسد إذ لا يكون لام كي صلة.(٤٥) ونقل توجيها آخر للقراءة :(وهو أن (ما) ليس موصولا بمعنى (الذي)، وأنه بمعنى ماء الممدود، وذلك أنهم حكوا أن العرب حذفت هذه الهمزة فقالوا :ما يا هذا بحذف الهمزة... فيمكن أن تخرج على هذا إلا أنهم أجروا الوصل مجرى الوقف)(٤٦). وما نراه نحن أن (ما) مبني على حذف الهمزة بالقصر وهي بمعنى الذي وأن صلته ما جيء بعد وهو قوله :ليطهركم والله أعلم.

وقرأ يحيى بن يعمر (أشدا) بالقصر في قوله تعالى:{ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم } [الفتح/٢٩]، وشذذها أبو حيان بقوله :(وهي شاذة لأن قصر الممدود إنما يكون في الشعر نحو قوله :

لابد من صنعا وان طال السفر).(٤٧)

رابعا: الإدغام

الإدغام لغة :إدخال الشيء في الشيء(٤٩)، وهو مصدر (أدغم) يشدده البصريون ويخففه الكوفيون، (٥٠) وفي اصطلاح النحاة ونبدأ بأمامهم سيبويه الذي لم يضع تعريفا محددا له بل ذكره في أبواب متفرقة من كتابه.(٥١) ففي (باب الإدغام) وصف سيبويه كيفية النطق بالصوتين المدغمين بقوله: (هذا باب الإدغام في الحرفين اللذين تضع لسانك لهما موضعا واحدا لا يزول عنه...إذا كانا من كلمة لا يفترقان)(٥٢).

وظلت تعريفات من جاء بعده دائرة في فلك هذا المفهوم لا تخرج عنه، فالمبرد (ت٢٨٥هـ) عرف الإدغام بأنه (تماثل صوتين في الكلام بحسب وصفهما أو بتأثير أحدهما على الآخر فيتماثل معه، فتعتمد لهما في اللسان اعتمادة واحدة)(٥٣)

والإدغام في اصطلاح أهل القراءات والتجويد لا يختلف كثيرا عن التشديد وكأنهما مترادفان، صحيح أنهما يقتربان من بعضهما من جهة أنهما يعبران عن الظاهرة ذاتها إلا أنهما يختلفان عن بعضهما من جهة أن التشديد يحدث نتيجة التقاء المتماثلين فقط وهو ما يسمى بالتضعيف أيضا، أما الادغام فأنه يحدث نتيجة لالتقائهما – المتماثلين– ولالتقاء المتقاربين والمتجانسين وهو القسم الثالث الذي زاده علماء التجويد، وعليه يمكن أن يخصص الإدغام بالدراسات الصوتية لأنه يقوم على العلاقات التأثرية والتأثيرية بين الأصوات، ويخصص مصطلح التشديد بالدراسات الصرفية لأنه يؤثر في الوزن وفي الدلالة.

ورأى القرطبي (ت٤٦١هـ) أن الادغام يحدث نتيجة التقاء حرفين مثلين أو متقاربين الأول منهما ساكن، والآخر متحرك فيقلب أحدهما إلى الآخر، (٥٤) اما

المرعشي (ت١١١٥هـ) فقد عرفه بأنه المجيء (بحرفين ساكن فمتحرك من مخرج واحد من غير فصل بينهما على أن يصيران حرفا واحدا مغايرا لهما بهيأته وهو الحرف المشدد)(٥٥).

ولم تختلف نظرة المحدثين إلى الإدغام ومعناه عما هو عند المتقدمين، فهو لا يعدو اللفظ بصوت مختلف عن الصوتين اللذين نشأ عنهما بعد حذف المصوت القصير الفاصل بينهما، فينشأ عنهما صوت مشدد وهذا هو معنى الإدغام.(٥٦)

ومهما يكن من كثرة التعريفات إلا أنها تصب في مجرى واحد، ويبقى مصطلح الإدغام من المصطلحات التي كثر دورانها في مؤلفات الاصواتيين القدامى منهم والمحدثين على الرغم من أن بعض المحدثين يميل إلى استعمال مصطلح (المماثلة) بدلا منه.

ومن القراءات الشاذة التي جاء على ذكرها أبو حيان في تفسيره موضع الدراسة والتي وقع فيها الإدغام، قراءة ابن مصرف (ينشقق) بنون وقافين (٥٧)، في قوله تعالى :{وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء}[البقرة/٧٤]، وعلل أبو حيان فك المدغم بأنه شاذ فقال :(والذي يقتضيه اللسان أن يكون بقاف واحدة مشددة، وقد يجيء الفك في شعر فأن كان المضارع مجزوما جاز الفك فصيحا، وهو هنا مرفوع فلا يجوز الفك، إلا أنها قراءة شاذة فيمكن أن يكون ذلك فيها).(٥٨)

والذي نراه أن هذه القراءة ربما تكون مبنية على مطاوعة الفعل، وكأن الأمر مبني على حدوث الانشقاق فانشقت أي :انشققت الحجارة فهي منشقة ويكون المضارع لـ انشقق: ينشقق.

وقراءة شاذة ذكرها أبو حيان بالتشديد والإدغام بعد حذف الهمزة المنقولة حركتها إلى ما قبلها في قوله تعالى :{ ويسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج} [البقرة/١٨٩] بإدغام نون (عن) في لام (الأهلة)، وقرأ الجمهور من غير تشديد ولا إدغام بل (بكسر النون وإسكان لام الأهلة بعدها همزة)(٥٩) وذهب العكبري إلى أن هذه القراءة موافقة للهجة من لهجات العرب فقال :(والأصل الأهلة فألقيت حركة الهمزة على اللام فتحركت ثم حذفت همزة الوصل لتحرك اللام فصارت (لهلة) فلما لقيت النون اللام

قلبت النون لاما وأدغمت في اللام الأخرى ومثله لحمر في الأحمر وهي لغة)(٦٠)، والى ذلك ذهب أبو حيان أيضا، وهو ما يتفق وطبيعة الإدغام.(٦١) الواقع بين الحروف المتوافقة في الصفة والمخرج، فاللام صوت لثوي متوسط مجهور منفتح، والنون كذلك يزيد عليه بأنه صوت أنفي، (٦٢) وهذا الإدغام إدغام تام إذ تفنى النون فناء تاما فتصير مع اللام لاما، والذي حدث في هذه القراءة أن حركت الهمزة ألقيت على اللام ثم حذفت الهمزة ثم أدغم اللام في النون.

وقرأ عاصم في شاذه (اللذتمن) بإدغام التاء المبدلة من الهمزة قياسا على أتسر في الافتعال من اليسر، (٦٣) في قوله تعالى:{فأن آمن بعضكم بعضا فليؤد الذي أؤتمن أمانته} [البقرة/٢٨٣].

وان أقر أبو حيان بشذوذ هذه القراءة من جهة، وقياسها على أتسر من جهة أخرى، إلا أن الزمخشري(ت٥٣٨هـ) رأى أنها ليست صحيحة وذلك جاء في قوله: (وليس بصحيح، لأن التاء منقلبة عن الهمزة في حكم الهمزة واتزر عامي، وكذلك ريا في رؤيا)(٦٤). لكن أبا حيان رد على الزمخشري قوله بأن أتزر عامي أي من أحداث العامة وأن لا أصل له في اللغة بأن هناك من العلماء من نقله عن العرب.(٦٥)

والذي نراه أن القياس المعتمد في صيغة (أؤتمن) على صيغة (افتعل) لا يتفق كثيرا ذلك أن ما يحصل في صيغة (افتعل) مبني على اجتماع صوتين في الكلمة يتصف كل منهما بصفة تناقض صفة الآخر، كالجهر والهمس، والإطباق والفتح، ولما كان في تحقيق الصوتين صعوبة وعسر على المتكلم مال المتكلم إلى خلع صفة أحدهما على الآخر توفيرا للجهد وتحقيقا للانسجام، ومثال ذلك الأصوات المطبقة المفخمة التي تتنافر مع صوت تاء الافتعال الرقيق المنفتح، فيجد المتكلم عسرا في نطقها معه لصعوبة الانتقال من المطبق إلى المنفتح ومن المفخم إلى المرقق، فيطبق المنفتح ويفخم المرقق ليحدث الانسجام فيبدل تاء الافتعال طاء فيقول في اظتلم : اظطلم، وفي اصتدم: اصطدم.وكذا الحال مع الأصوات المجهورة كالزاي، والدال، والذال، التي تتنافر أيضا مع تاء الافتعال لهمسه، فيجد المتكلم عسرا حال النطق بمتضادين وذلك لصعوبة

الخروج من مجهور إلى مهموس لذا يجهر المهموس ليتحقق التناسب وليزول العسر فيقول في ازتهر: أزدهر مبدلا من التاء دالا لأنه نظيره المجهور.(٦٦)

ما سبق بسطه لا يتفق مع صيغة (أؤتمن) لعدم وجود مثل هذه الصعوبة في نطقها ذلك أن الهمزة صوت حنجري شديد مهموس منفتح، (٦٧) والتاء صوت أسناني لثوي شديد مهموس منفتح.(٦٨) وعليه فصفاتهما واحدة ولا نجد ضرورة للإبدال أو الإدغام لكنه على أية حال حرف شاذ كما قرر علماؤنا رحمهم الله.

وفي الختام لا يسعنا إلا أن نشكر الله سبحانه ونحمده على نعمه التي أنعم بها علينا ومنها إتمامنا لهذا البحث راجين أن يحسبه عملا خالصا لوجهه الكريم، وبعد هناك ملاحظات خرجنا بها أحببنا أن نسجلها خدمة للعلم وإتماما للبحث، وهي:

- أكد أبو حيان أن الإسناد الصحيح هو الأصل في الحكم على القراءة، حتى لو كانت لا تتلائم مع مقاييس العربية التي وضعها النحاة.
- لم يأخذ بإنكار النحاة لبعض القراءات لأنه يرى أن إجماع الأئمة من السلف هو الصواب وأن منهجهم في النقل والرواية أكثر ضبطا من النحاة في ذلك.
- من الملاحظ على أبي حيان أنه كان في أحايين قليلة يشذذ القراءة، ومع هذا لا يرميها بالخطأ بل يدافع عنها، وعن القارئ بها ربما يكون السبب وراء تصرفه هذا شدة ورعه وعظم تقواه، أو إلى المنهج الذي اختطه لنفسه في اتخاذ موقف الراوي للقراءات، فهو لا يفاضل بين قراءة وأخرى بل هي في نظره بمستوى واحد من الصحة، والفصاحة، والقبول.
- لا يختلف اثنان في أن الإبدال، والإتباع، والادغام، والمد والقصر، من الظواهر الصوتية الواضحة في اللغة العربية، إذ تميل عبر مسيرة تطورها إلى تحقيق الانسجام الصوتي أو الحركي في مفرداتها، لذا كانت لنا وقفة على الأحرف الشاذة التي جاء على ذكرها أبو حيان في تفسيره وعلى توجيهه لها لنكمل بها عملا سبق عملنا إلى الوجود وهو رسالة ماجستير موسومة بـ(القراءات الشاذة في البحر المحيط دراسة نحوية صرفية) ودراستنا هذه دراسة صوتية استكمالا لجوانب الموضوع علنا وفقنا في عرض مفرداتها.

وفي الختام هذا جهد الاستطاعة فان وفقنا فيه فبفضل من الله سبحانه وان أخفقنا فحسبنا المحاولة والله ولي التوفيق.

هوامش البحث

١- ينظر: لسان العرب مادة (شذذ)٣/٤٩٤، والخصائص:١/٩٦.

٢- ينظر: القاموس المحيط مادة (شذذ) ٩/٤٢٣.

٣- ينظر: النشر في القراءات العشر :١/٩.

٤- ينظر :العين :٨/٤٥، والصحاح: ٤/١٦٣٢، ولسان العرب:١١/٤٨.

٥- الصاحبي في فقه العربية:٢٠٢، والمزهر في علوم العربية وآدابها: ١/٤٧٦.

٦- المخصص:١٣/٢٦٧.

٧- لسان العرب:١١/٤٨ مادة(بدل).

٨- ينظر:الخصائص :٢/٨٢

٩- ينظر:من أسرار اللغة:٥٩، والابدال لأبي الطيب :١/٩(مقدمة المحقق)، واللهجات العربية نشأة وتطورا: ٨٥ وما بعدها.

١٠- ينظر من أسرار اللغة ٧٥و٨٣

١١- ينظر :المقتضب (مقدمة المحقق)١/٢٩، وما بعدها ومنهم الفراء(٢٠٧هـ)، والزمخشري (٥٣٨هـ).

١٢- البحر المحيط :١/١٩٤.

١٣- ينظر المحتسب:١/١٤٢.

١٤ - ينظر البحر:٢/٣٥٢، والمحتسب:١/١٤٢.

١٥- املاء ما من به الرحمن:١/١٥٤.

١٦- البحر :٢/٣٦٢-٣٦٣.

١٧- الرعاية:١٤٥، وينظر: الإنصاف مسألة: ١٠٥، ٢/٧٢٨.

١٨-التحديد في الإتقان والتجويد:١٢٣.

١٩- البحر:٢/٢٩٠.

٢٠- املاء ما من به الرحمن:١٠٧/١.

٢١-المحتسب:٢٢٢/١.

٢٢- السابق والموضع.

٢٣- ينظر السابق والموضع.

٢٤- السابق: ٣٤٨/٢.

٢٥- ينظر البحر:٤٠٤/٨.

٢٦- ينظر الكشاف:٦٨٧/٤.

٢٧- الجامع لإحكام القرآن :١٧٣/١٦.

٢٨- البحر:٢٥/٧.

٢٩- في اللهجات العربية:٨٦، وينظر:الظواهر اللغوية في قراءة أهل الحجاز:٥٣، والظواهر اللغوية في قراءة الحسن البصري:١٩.

٣٠- في اللهجات العربية:٨٦.

٣١-الكتاب: ١٠٧/٤-١٠٨.

٣٢- ينظر :الخصائص:١٣٩/٢.

٣٣-السبق:١٤١/٢.

٣٤-ينظر المحتسب:٤١/٢، وسر صناعة الإعراب:٥٨/١.

٣٥- البحر :١٨/١.، وينظر المحتسب:٣٥/١، ومعاني القرآن وإعرابه:٦٥/١.

٣٦-البحر:٣٥٧/١.

٣٧-المخصص:١٦/١٦.

٣٨- ينظر: السابق والموضع.

٣٩- لهجة تميم وأثرها في العربية الموحدة:١٨٩.

٤٠- ينظر: في اللهجات العربية:٦١.

٤١- ينظر البحر:٤٦٢/٤.

٤٢-ينظر إملاء ما من به الرحمن:٤/٢.

٤٣-ينظر البحر: ٤٦٢/٤.

٤٤- ينظر المحتسب:٢٨٨/١.

٤٥- ينظر: البحر:٤٦٢/٤.

٤٦- السابق والموضع

٤٧- السابق:١٠٠/٨.

٤٨-ينظر: القاموس المحيط:١١٢/٤مادة (دغم).

٤٩- ينظر شرح المفصل:١٢١/١٠، وشرح الرضي على الشافية:٢٥٣/٣، وجهد المقل:١٨١.

٥٠- ينظر :الكتاب:٥٣٠/٣(باب الفعل المضعف).

٥١- الكتاب:٤٣٧/٤.

٥٢- المقتضب:١٩٧/١، والأصول في النحو:٤٠٥/٣، وشرح الرضي على الشافية: ٢٥٣/٣.

٥٣- ينظر:الموضح في التجويد:١٣٩.

٥٤- جهد المقل:١٨١ز

٥٥- ينظر أثر القراءات :١٢٧.

٥٦- ينظر :البحر:٤٣١/١.

٥٧- السابق والموضع، وينظر: الجامع لإحكام القرآن:٥٠٢/١.

٥٨- البحر:٦٩/٢.

٥٩- املاء ما من به الرحمن:٨٤/١ز

٦٠-ينظر: في البحث الصوتي عند العرب:٨٢ز

٦١- ينظر :الوجيز في فقه اللغة:١٨٩.

٦٢-ينظر:البحر:٣٧٢/٢.

٦٣-الكشاف: ٢٩٢/١.

٦٤-البحر:٣٧٢/٢.

٦٥- ينظر:الوجيز في فقه اللغة:٢٧٠-٢٧١.، والمهذب في علم الصرف:٥٠.

٦٦-ينظر: الوجيز في فقه اللغة:١٩٨.

٦٧- ينظر السابق:١٨٦.

قائمة المصادر والمراجع

١- الإبدال، أبو الطيب اللغوي (ت٣٥١هـ)، تحقيق: عز الدين التنوخي، المجمع العلمي العربي، دمشق ١٣٧٩هـ-١٩٦٠م.
٢-الأصول في النحو، أبو بكر ابن السراج(ت٣١٦هـ)، تحقيق: د.عبد الحسين الفتلي، ط ٢، مؤسسة الرسالة-بيروت، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
٣-إملاء ما من به الرحمن وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن، أبو البقاء عبدا لله بن الحسين العكبري (ت٦١٦هـ)، تصحيح وتحقيق :الأستاذ إبراهيم عطوة عوض، ط١، مطبعة مصطفى البابي الحلبي-القاهرة، ١٩٦٠م.
٤- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، أبو البركات الانباري (ت٥٧٧هـ) ومعه كتاب الانتصاف من الإنصاف تأليف محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ١٩٨٢م.
٥- التحديد في الإتقان والتجويد، أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت٤٤٤هـ)، تحقيق:د.غانم قدوري الحمد، ط١، مطبعة الخلود -بغداد، ١٩٨٨م.
٦- تفسير البحر المحيط أبو حيان الأندلسي (ت٧٤٥هـ)، دراسة وتحقيق وتعليق: الشيخ عادل أ؟حمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، ود.زكريا عبد المجيد النوني ود.أحمد النجولي الجمل، ط١، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية /لبنان، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.
٧- الجامع لإحكام القرآن، أبو عبدا لله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت هـ)، ط٢، دار إحياء التراث العربي -بيروت/لبنان، ١٩٦٥م.
٨- جهد المقل، محمد أبي بكر المرعشي (ت١١١٥هـ)، تحقيق د.سالم قدوري الحمد، دار عمار للنشر والتوزيع، ٢٠٠١م.
٩- الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني(ت٣٩٢هـ)، تحقيق :محمد علي النجار، ط٢، دار الهدف للطباعة والنشر، بيروت/لبنان.

١٠-الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، مكي بن أبي طالب (ت٤٣٧هـ)، تحقيق: د.أحمد حسن فرحات-دمشق، ١٩٧٣م.
١١-سر صناعة الإعراب أبو الفتح عثمان بن جني(ت٣٩٢هـ)، تحقيق: مصطفى السقا وآخرين، ط١، مطبعة الحلبي بمصر، ١٣٢٤هـ١٩٥٤م.
١٢-شرح شافية ابن الحاجب، رضي الدين محمد الاستراباذي(ت٦٨٦هـ)، تحقيق: محمد نور الحسين ومحمد الزفزاف، ومحمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية-بيروت ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م.
١٣-شرح المفصل، موفق الدين ابن يعيش(ت٦٤٣هـ)، الطباعة المنيرية بمصر.
١٤- الصاحبي في فقه العربية وسنن العرب في كلامها، أبو الحسين أحمد بن فارس (ت٣٩٥هـ) تحقيق: د.مصطفى السويهي، مؤسسة أبدران للطباعة والنشر-بيروت، ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م.
١٥- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل الجوهري (ت٣٩٨هـ)، تحقيق:أحمد عبد الغفور عطار، دار الكتاب العربي- القاهرة، ١٣٧٦هـ-١٩٥٦م.
١٦-الظواهر اللغوية في قراءة أهل الحجاز، د.صاحب أبو جناح، مطبعة جامعة البصرة، ١٤٠٨÷-١٩٨٨م.
١٧- الظواهر اللغوية في قراءة الحسن البصري، د.صاحب أبو جناح، ط١، مطبعة جامعة البصرة، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
١٨-العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٠هـ)، تحقيق: د.مهدي المخزومي، ود.إبراهيم السامرائي، دارا لرشيد- بغداد، ١٩٨٥م.
١٩-في البحث الصوتي عند العرب، د.خليل إبراهيم العطية، الموسوعة الصغيرة منشورات الجاحظ-بغداد، ١٩٨٩م.
٢٠-في اللهجات العربية، د.إبراهيم أنيس، ط٤، المطبعة الفنية الحديثة- القاهرة، ١٣٩٣هـ-١٩٧٣م.
٢١-القاموس المحيط والقابوس الوسيط في اللغة، الفيروز آبادي(ت٨١٧هـ)، دار الفكر بيروت، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م.

٢٢–القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، د.عبد الصبور شاهين، دار القلم، ١٣٨٦هـ–١٩٦٦م.
٢٣–الكتاب، أبو بشر عثمان بن قنبر سيبويه(ت١٨٠هـ)، تحقيق:عبد السلام محمد هارون، ط٣، عالم الكتب–بيروت ١٤٠٣هـ–١٩٨٣م.
٢٤–الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، جار الله محمود الزمخشري (ت٥٣٨هـ)، مطبعة المكتبة التجارية– القاهرة، ١٣٥٤هـ–١٩٣٤م.
٢٥–لسان العرب، جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور(ت٧١١هـ)، طبعة مصورة عن طبعة بولاق معها تصويبات وفهارس متنوعة، الدار المصرية للتأليف والترجمة.
٢٦–اللهجات العربي نشأة وتطورا، د.عبد الغفار حامد هلال، دار الفكر العربي –القاهرة، ١٤١٨هـ– ١٩٩٨م.
٢٧–لهجة تميم وأثرها في العربية الموحدة، غالب المطلبي، دار الحرية للطباعة، ١٣٩٨هـ–١٩٧٨م.
٢٨–المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، أبو الفتح عثمان ابن جني(ت٣٩٢هـ)، تحقيق: على النجدي ناصيف وآخرين، ١٣٨٦هـ–١٩٦٦م.
٢٩– المخصص، أبو الحسن علي بن إسماعيل ابن سيدة(ت٤٥٨هـ)المطبعة الأميرية، مصر، ١٣٢٠هـ–١٩٠٠م.
٣٠– المزهر في علوم العربية وآدابها، جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)شرح وضبط وتصحيح محمد أحمد جاد المولى وآخرين، المكتبة العصرية –بيروت، ١٤٠٨هـ–١٩٨٧م.
٣١– مقاييس اللغة، ابن فارس(ت٣٩٥هـ)، تحقيق:عبد السلام محمد هارون، ط٢، مطبعة مصطفى البابي الحلبي مصر، ١٣٨٩هـ–١٩٦٩م.
٣٢– المقتضب، محمد بن يزيد المبرد(ت٢٨٥هـ)تحقيق: محمد عبد الخالق عظيمة، عالم الكتب– بيروت.
٣٣– من أسرار اللغة، د.إبراهيم أنيس، ط٥، مطبعة مصطفى البابي الحلبي– مصر.

٣٤-المهذب في علم التصريف، هاشم طه شلاش وآخرين، جامعة بغداد، كلية التربية، ١٩٨٢م.
٣٥-الموضح في التجويد، عبد الوهاب القرطبي (ت٤٦١هـ)، تحقيق: د.غانم قدوري الحمد، ط١، الكويت، ١٩٩٠م.
٣٦- الوجيز في فقه اللغة، محمد الإنطاكي، ط٢، مكتبة دار الشرق، بيروت.